(٢) إِلَى طُلَّابِ مَدْرَسَةِ: (اعْرِفُونِي)!!(١)

الحَمْدُ للهِ وَحْدَهُ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَقَدْ نَبَتَتْ فِي أَيَّامِنَا هَذِهِ -كَمَا نَبَتَتْ فِي كُلِّ عَصْرٍ وُجِدَ فِيهِ ضِعَافُ النُّفُوسِ- نَابِتَةٌ لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ العِلْمِ، وَلَمْ يَتَغَرْغَرُوا بِحَلَاوَتِهِ، وَلَمْ تَسْتَشْعِرْ قُلُوبُهُمْ خَشْيَةَ اللهِ؛ فَـ«**إِنَّمَا العِلْمُ الخَشْيَةُ**»، فَأَرَادُوا أَنْ يُعْرَفُوا وَيَتَحَدَّثَ النَّاسُ عَنْهُمْ وَلَوْ بِلَعْنِهِمْ؛ فَتَنَمَّرُوا، وَأَبْرَزُوا عَنْ أَنْيَابِهِمْ، وَشَحَذُوا مَخَالِبَهُمْ، وَانْقَضُّوا عَلَى الثَّوَابِتِ مِنْ تَعَالِيمِ هَذَا الدِّينِ نَهْشًا، وَعَلَى الشَّوَامِخِ الأَعْلَامِ هَدْمًا، يَنْفِشُ أَحَدُهُمْ رِيشَهُ مُخْتَالًا كَالطَّاوُوسِ، يَسُوقُهُ دَاءُ الغُرُورِ إِلَىٰ دَعْوَىٰ المُنَافَحَةِ عَنِ العِلْمِ

---

(١) انْظُرْ كِتَابَ "التَّعَالُمُ" لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ/ بَكْر أَبُو زَيْدٍ، وَمُقَدِّمَةَ كِتَابِ "الِاعْتِبَار فِي النَّاسِخِ وَالمَنْسُوخ" لِلْحَازِمِيِّ.

وَالتَّحْقِيقِ، وَالذَّبِّ عَنْ تَعَالِيمِ الدِّينِ القَوِيمِ، وَبَذْلِ الجَهْدِ فِي إِبْرَازِ نَصَاعَةِ الدِّينِ، وَتَجْدِيدِهِ، وَمُسَايَرَتِهِ لِرُوحِ العَصْرِ!!

حَتَّىٰ أَصْبَحَ "المُجَدِّدُونَ" المَزْعُومُونَ "المُتَعَالِمُونَ" كُثُرٌ؛ لَا كَثَّرَ أَمْثَالَهُمْ، وَأَرَاحَنَا مِنْ أَمْرَاضِهِم!!

وَيَزْعُمُونَ أَيْضًا أَنَّهُمْ يُبَيِّنُونَ تَشْوِيهَ الجَاهِلِينَ لِتَعَالِيمِهِ، وَيُظْهِرُونَ عَوَارَ الجَامِدِينَ المُتَمَسِّكِينَ بِالنُّصُوصِ!

وَمَا دَرَىٰ المِسْكِينُ -المُتَجَرِّئُ عَلَى الفُتْيَا بِغَيْرِ عِلْمٍ مَهْمَا كَانَتْ دَرَجَتُهُ العِلْمِيَّةُ وَمَكَانَتُهُ الاِجْتِمَاعِيَّةُ- أَنَّهُ هُوَ الجَاهِلُ بِتَعَالِيمِ هَذَا الدِّينِ وَقِيَمِهِ، فَلَيْسَ مِنَ الدِّينِ فِي شَيْءٍ هَدْمُ إِجْمَاعِ الأُمَّةِ، وَلَيْسَ مِنَ الدِّينِ فِي شَيْءٍ انْتِقَاصُ العُلَمَاءِ، وَالإِعْرَاضُ عَنْ مَنْهَجِ المُتَقَدِّمِينَ، وَلَيْسَ مِنَ الدِّينِ فِي شَيْءٍ نَشْرُ البِدَعِ وَنَصْرُ المُبْتَدِعَةِ ، فَـ«اللَّهُمَّ! نَشْكُو إِلَيْكَ هَذَا الغُثَاءَ»؛ كَمَا قَالَ **الحَسَنُ البَصْرِيُّ** رحمه الله.

❁❁❁❁

دَعَاوَىٰ عَرِيضَةٌ: (**الاِجْتِهَاد وَالتَّجْدِيد**)، (**مُسَايَرَة رُوحِ العَصْرِ**)، (**حُرِّيَّة الفِكْرِ وَالرَّأْيِ وَالتَّعْبِيرِ**)، (**رُوح الاِبْتِكَارِ**)، بِمَا تَحْمِلُهُ هَذِهِ اللَّافِتَاتُ مِنْ رُوحِ الاِنْهِزَامِيَّةِ، وَالشُّعُورِ بِالنَّقْصِ وَالذِّلَّةِ أَمَامَ التَّقَدُّمِ

العِلْمِيِّ المَزْعُومِ فِي الغَرْبِ الكَافِرِ، يَرْفَعُ أَحَدُهُمْ عَقِيرَتَهُ بِهَذِهِ الدَّعَاوَىٰ هَادِمًا لِلثَّوَابِتِ فِي قِيَمِ الدِّينِ، حَتَّىٰ يَرْضَى عَنْهُ أَهْلُ الكُفْرِ وَالزَّيْغِ وَالضَّلَالِ، فَيَأْتِ بِمَا لَمْ يَأْتِ بِهِ الأَوَائِلُ، وَتَرَاهُ كَطَبْلٍ أَجْوَفَ، وَكَمَا قَالَ **القَائِلُ**: «أَسْمَعُ ضَجِيجًا وَلَا أَرَىٰ طِحْنًا»، فَيُبْدُو أَحَدَهُمْ وَهُوَ يُنَاطِحُ الشَّوَامِخَ مِنَ العُلَمَاءِ العَامِلِينَ؛ كَوَعْلٍ غِرِّيرٍ يُنَاطِحُ بِقَرْنِهِ الصَّخْرَ، أَوْ كَصَبِيٍّ سَاذَجٍ يَظُنُّ أَنَّهُ بِإِلْقَائِهِ الحَصَىٰ تُجَاهَ الشَّمْسِ سَيُحْدِثُ بِهَا نَدْبًا!!

شَعْوَذَةٌ تَخْطُرُ فِي حِجْلَيْنِ .... وَفِتْنَةٌ تَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ(١)

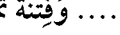

وَلَـمَّا كَانَ الوَاجِبُ عَلَىٰ أَهْلِ الإِسْلَامِ (مِنْ بَابِ النَّصِيحَةِ)، أَنْ يَأْخُذُوا بِحُجَزِ كُلِّ مُتَكَالِبٍ عَلَى النَّارِ، وَأَنْ يُبَصِّرُوهُ بِمَوَاضِعِ الأَقْدَامِ، وَإِنْ لَمْ يَنْتَصِحْ؛ يُؤْخَذُ عَلَىٰ يَدَيْهِ، بَلْ إِنْ أَمْكَنَ الحَجْرُ عَلَيْهِ،

---

(١) أَيْ أَنَّ (الشَّعْوَذَةَ) مِنْ خُيَلَائِهَا تَتَمَايَلُ وَتَمْشِي مِشْيَةَ المُعْجَبِ، وَ(الحِجْلَيْنِ) مُثَنَّى (حِجْل)؛ أَيْ: خُلْخَال، وَهُوَ مَا تَتَزَيَّنُ بِهِ المَرْأَةُ فِي قَدَمِهَا، وَ(الشَّعْوَذَة) فِي اللُّغَةِ: خِفَّةٌ فِي اليَدِ وَأَخْذٌ كَالسِّحْرِ يَرَى الشَّيْءَ بِغَيْرِ مَا عَلَيْهِ أَصْلُهُ فِي رَأْيِ العَيْنِ.

صَوْنًا لِهَذَا الدِّينِ، وَذَبًّا عَنْ بَيْضَتِهِ، فَكَمَا قِيلَ: «الحَجْرُ لِاسْتِصْلَاحِ الأَدْيَانِ؛ أَوْلَى مِنَ الحَجْرِ لِاسْتِصْلَاحِ الأَمْوَالِ وَالأَبْدَانِ».

فَلِذَا كَانَ لَا بُدَّ مِنْ نَتْفِ رِيشِهِ وَإِظْهَارِ عَوَارِهِ؛ نُصْحًا لِلْمُسْلِمِينَ، حَتَّى لَا يَرُوجَ بُهْرُجُهُ (وَهُوَ الْمُفْلِسُ) عَلَى ضِعَافِ الْعُقُولِ (الهَمَجِ الرِّعَاعِ)؛ الَّذِينَ يَسِيرُونَ وَرَاءَ كُلِّ نَاعِقٍ، فَيَظُنُّونَ أَنَّهُ عَلَى شَيْءٍ، لِظَنِّهِمْ أَنَّهُ قَدِ اسْتَدْرَكَ عَلَى العُلَمَاءِ وَصَحَّحَ لَهُمْ مَا أَخْطَئُوا فِيهِ!!

فَإِنَّ مِنْ حِفْظِ اللهِ لِهَذَا الدِّينِ، هَتْكَ مَنْ يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، كما قال **السَّخَاوِيُّ** رَحِمَهُ اللهُ.

وَلَعَلَّ **سَائِلًا يَسْأَلُ**: لِمَ يَتَعَالَمُ أَحَدُهُمْ فَيَخْرِقُ "الإِجْمَاعَ"؟ وَيَطْعَنُ الآخَرُ فِي الصَّحَابَةِ؟ وَغَيْرُهُ يَطْعَنُ فِي الأَحَادِيثِ الثَّابِتَةِ الَّتِي أَفْنَى الجَهَابِذَةُ الأَثْبَاتُ مِنْ عُلَمَاءِ الحَدِيثِ أَعْمَارَهُمْ فِي خِدْمَتِهَا وَالذَّبِّ عَنْهَا؟ وَيَتَطَاوَلُ آخَرُ عَلَى أَئِمَّةِ الحَدِيثِ كَالبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ؟ وَلِمَ يَحْرِصُ أَحَدُهُمْ عَلَى أَنْ يُحَدِّثَ النَّاسَ بِمَا لَمْ يَسْمَعُوا هُمْ وَلَا آبَاؤُهُمْ؟! لِمَ يَتَفَيْهَقُ هَذَا، وَيَتَشَدَّقُ الآخَرُ بِالغَرِيبِ المَهْجُورِ؟ وَلِمَ يَخُوضُ أَحَدُهُمْ فِي مَسَائِلَ لَوْ عُرِضَتْ

لِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَجَمَعَ لَهَا أَهْلَ بَدْرٍ يَسْتَشِيرُهُمْ؟ وَلِمَ يَنْتَقِصُ الآخَرُ العُلَمَاءَ وَيَزْدَرِي أَعْمَالَهُمْ؟! بَلْ لِمَ يَجْرِي أَحَدُهُمْ وَيَلْهَثُ خَلْفَ الأَقْوَالِ السَّاقِطَةِ عِنْدَ العُلَمَاءِ؟!

إِنَّهُ دَاءُ (اعْرِفُونِي)؛ كَمَا قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

فَعَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي الحَسَنِ أَنَّهُ لَقِيَ أَبَا يَحْيَى الْمُعْرِقِبَ؛ فَقَالَ لَهُ: «مَنِ الَّذِي قَالَ لَهُ: (اعْرِفُونِي؟) قَالَ: ذَاكَ -يَا أَبَا سَعِيدٍ!- إِنِّي أَنَا هُوَ. قَالَ: مَا عَرِفْتُ أَنَّكَ هُوَ. قَالَ: فَإِنِّي أَنَا هُوَ، مَرَّ بِي عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَنَا أَقُصُّ ـ أي: أعِظُ الناس ـ بِـ ـُوفَةِ، فَقَالَ لِي: «مَنْ أَنْتَ؟» فَقُلْتُ: أَنَا أَبُو يَحْيَى. فَقَالَ: «لَسْتَ بِأَبِي يَحْيَى، وَلَكِنَّكَ تَقُولُ: (اعْرِفُونِي، اعْرِفُونِي)». ثُمَّ قَالَ: «هَلْ عَلِمْتَ النَّاسِخَ مِنَ الْمَنْسُوخِ؟» قُلْتُ: لَا. قَالَ: «هَلَكْتَ وَأَهْلَكْتَ». فَمَا عدت بعدُ أن أقصَّ على أحد».

وَقَالَ ابْنُ عَوْنٍ لِشُعْبَةَ بْنِ الحَجَّاجِ رَحِمَهُ اللَّهُ: يَا أَبَا بِسْطَامٍ! مَا يَحْمِلُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ فِي الحَدِيثِ عَلَى الكَذِبِ؟ قَالَ: «يُرِيدُونَ أَنْ يُعَظَّمُوا بِذَلِكَ».

نَعَم؛ إِنَّهُمْ يَطْلُبُونَ التَّكَبُّرَ وَالظُّهُورَ، لَبِسُوا لِبَاسَ الحَدِيثِ وَهُمْ عَنْهُ بِمَعْزِلٍ، وَلَبِسُوا لِبَاسَ الفِقْهِ وَالبَوْنُ شَاسِعٌ، وَرَكِبُوا مَطَايَا الخَيْرِ لِلشَّرِّ!!

إِنَّهُمْ سُوسٌ يَنْخِرُ فِي عِظَامِ الأُمَّةِ، يَنْشُرُونَ الخِلَافَ وَالشِّقَاقَ، مُسْتَهِينِينَ بِعِلْمِ مَنْ سَبَقَهُمْ، فَيَهْدِرُونَ جُهُودَ كُلِّ العُلَمَاءِ السَّابِقِينَ بِزَعْمِهِمْ (هُمْ رِجَالٌ وَنَحْنُ رِجَالٌ)!، وَكَذَبُوا فَـ(سَلَفُنَا رِجَالٌ وَهُمْ صِغَارٌ)، عَلَيْهِم الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ، قَالَ **أَبُو عَمْرِو بْنُ العَلَاءِ** أَحَدُ القُرَّاءِ السَّبْعَةِ رحمه الله: «مَا نَحْنُ فِيمَنْ مَضَىٰ إِلَّا كَبَقْلٍ فِي أُصُولِ نَخْلٍ طُوَالٍ»، بَلْ نَقُولُ؛ كَمَا فِي حَدِيثِ أُمِّ زَرْعٍ: «**كَلَحْمِ جَمَلٍ غَثٍّ عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ وَعْرٍ**».

قَالَ **أَبُو إِسْحَاقَ الشَّاطِبِيُّ** رحمه الله: «قَلَّمَا تَقَعُ المُخَالَفَةُ لِعِلْمِ المُتَقَدِّمِينَ، إِلَّا مِمَّنْ أَدْخَلَ نَفْسَهُ فِي أَهْلِ الاِجْتِهَادِ؛ غَلَطًا أَوْ مُغَالَطَةً».

وَقَالَ **ابْنُ حَزْمٍ** رحمه الله: «لَا آفَةَ عَلَىٰ العُلُومِ وَأَهْلِهَا أَضَرُّ مِنَ الدُّخَلَاءِ فِيهَا، وَهُمْ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهَا، فَإِنَّهُمْ يَجْهَلُونَ، وَيَظُنُّونَ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ، وَيُفْسِدُونَ وَيُقَدِّرُونَ أَنَّهُمْ يُصْلِحُونَ».

قَالَ **الشَّافِعِيُّ** رَحِمَهُ اللهُ: «فَالوَاجِبُ عَلَى العَالِمِينَ أَنْ لَا يَقُولُوا إِلَّا مِنْ حَيْثُ عَلِمُوا، وَقَدْ تَكَلَّمَ فِي العِلْمِ مَنْ لَوْ أَمْسَكَ عَنْ بَعْضِ مَا تَكَلَّمَ فِيهِ مِنْهُ؛ لَكَانَ الإِمْسَاكُ أَوْلَى بِهِ، وَأَقْرَبَ مِنَ السَّلَامَةِ لَهُ - إِنْ شَاءَ اللهُ».

❁❁❁❁

فَسَدَنَةُ الخِلَافِ لَا يَعِيشُونَ وَلَا يَنْتَعِشُونَ إِلَّا بِاسْتِنْشَاقِ هَذَا الهَوَاءِ المَسْمُومِ بِالخِلَافِ وَالشِّقَاقِ المُمِيتِ لِرُوحِ الأُمَّةِ، وَإِلَّا بِالسِّبَاحَةِ فِي دَوَّامَةِ التَّعَالُمِ؛ حَتَّى وَلَوْ غَرَقَتِ الأُمَّةُ وَغَرَّقُوهُمْ مَعَهَا.

قَالَ **سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ** رَحِمَهُ اللهُ -فِيمَنْ حَدَّثَ قَبْلَ أَنْ يَتَأَهَّلَ-: «إِذَا كَثُرَ المَلَّاحُونَ غَرَقَتِ السَّفِينَةُ».

خَلَتِ الدِّيَارُ فَسُدْتُ غَيْرَ مُسَوَّدِ وَمِنَ البَلَاءِ تَفَرُّدِي بِالسُّؤْدَدِ

فَالخِلَافُ نُقْطَةٌ أَظْهَرَهَا وَكَثَّرَهَا المُتَعَالِمُونَ حَتَّى جَعَلُوهَا بَحْرًا مُتَلَاطِمَ الأَمْوَاجِ؛ يُغْرِقُ الأَخْضَرَ وَاليَابِسَ، وَ«لَوْ سَكَتَ مَنْ لَا يَعْلَمُ لَسَقَطَ الخِلَافُ»، وَيُرْوَى عَنْ **عَلِيٍّ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «العِلْمُ نُقْطَةٌ كَثَّرَهَا الجَاهِلُونَ».

❁❁❁❁

إِنَّ رُؤُوسَ الجَهْلِ تَتَصَدَّىٰ لِلتَّوْقِيعِ عَنِ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَتَبْلِيغِ مَا قَالَهُ ﷺ وَرَسُولُهُ، رَغْبَةً فِي التَّصَدُّرِ، وَطَلَبًا لِلشُّهْرَةِ وَالبُرُوزِ، وَصَرْفِ وُجُوهِ النَّاسِ إِلَيْهِمْ، فَيَتَحَصَّلُ أَحَدُهُمْ عَلَىٰ المَالِ وَالجَاهِ، وَيَنْتَشِي بِنَظَرِ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَالتِفَافِهِمْ وَاجْتِمَاعِهِمْ حَوْلَهُ، لَا أَدَاءً لِحَقِّ اللهِ، وَنَجَاةً بِنَفْسِهِ مِنَ النَّارِ، وَبِئْسَ المَصِيرُ، وَالأَحَادِيثُ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ:

فَيَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: (١) «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ -يَعْنِي رِيحَهَا- يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وَقَالَ ﷺ: (٢) «مَنْ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ لِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، وَيُجَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ(٣) وَيَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ، أَدْخَلَهُ اللهُ جَهَنَّمَ».

---

(١) رَوَاهُ أَحْمَدُ (ح ٨٤٥٧)، وَأَبُو دَاوُدَ (ح ٣٦٦٤)، وَابْنُ مَاجَهْ (ح ٢٥٢)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ الجَامِعِ (ح ٣١٥٩).

(٢) رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ (ح ٢٦٠)، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ الجَامِعِ (ح ٦١٥٨).

(٣) يَعْنِي: يُجَادِلُ بِهِ ضُعَفَاءَ العُقُولِ.

وَقَالَ ﷺ:(١) «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ،... وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ...».

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه:(٢) «كَيْفَ بِكُمْ إِذَا لَبِسَتْكُمْ فِتْنَةٌ يَرْبُو فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ، وَيُتَّخَذُ سُنَّةً، فَإِنْ غُيِّرَتْ يَوْمًا، قِيلَ: هَذَا مُنْكَرٌ»، قَالُوا: وَمَتَى ذَلِكَ -يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ قَالَ: «إِذَا قَلَّتْ أُمَنَاؤُكُمْ، وَكَثُرَتْ أُمَرَاؤُكُمْ، وَقَلَّتْ فُقَهَاؤُكُمْ، وَكَثُرَتْ قُرَّاؤُكُمْ، وَتُفُقِّهَ لِغَيْرِ الدِّينِ، وَالْتُمِسَتِ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ».

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ (ح ١٩٠٥).

(٢) صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ كِتَاب: العِلْم. بَاب: التَّرْهِيب مِنْ تَعَلُّمِ العِلْمِ لِغَيْرِ اللهِ (ح ١١١).

وَمَنْ أَظْهَرَ لِلنَّاسِ عِلْمَهُ أَوْ عَمَلَهُ رِيَاءً وَسُمْعَةً؛ أَظْهَرَ اللهُ نِيَّتَهُ الفَاسِدَةَ فِي عَمَلِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَفَضَحَهُ عَلَىٰ رُءُوسِ الأَشْهَادِ.

وَالأَحَادِيثُ فِي التَّرْهِيبِ مِنَ الرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ كَثِيرَةٌ؛ مِنْهَا:

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:(١) «**مَنْ قَامَ مَقَامَ رِيَاءٍ وَسُمْعَةٍ رَاءَى اللهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَسَمَّعَ**».

وَقَالَ ﷺ:(٢) «**مَنْ سَمَّعَ النَّاسَ بِعَمَلِهِ، سَمَّعَ اللهُ بِهِ مَسَامِعَ خَلْقِهِ، وَصَغَّرَهُ وَحَقَّرَهُ**».

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:(٣) «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ**» قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِذَا جُزِيَ النَّاسُ**

---

(١) رَوَاهُ أَحْمَدُ (ح ٢٢٣٢٢)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ الجَامِعِ (ح ٢٤).

(٢) صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ. كِتَاب: الإِخْلَاص، بَاب: التَّرْهِيب مِنَ الرِّيَاءِ وَمَا يَقُولُهُ مَنْ خَافَ مِنْهُ شَيْئًا، (ح ٢٥).

(٣) رَوَاهُ أَحْمَدُ (ح ٢٣٦٣٠)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ. بَاب: التَّرْهِيب مِنَ الرِّيَاءِ وَمَا يَقُولُهُ مَنْ خَافَ مِنْهُ شَيْئًا، (ح ٢٥).

بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً» .

إِنَّ العُلَمَاءَ الصَّادِقِينَ كَانُوا وَمَا زَالُوا يَعْرِفُونَ خُطُورَةَ الفَتْوَىٰ وَمَا تَجُرُّهُ عَلَىٰ صَاحِبِهَا، فَلَيْسَ مِنَ السَّهْلِ أَنْ يُفْتِيَ المَرْءُ لِيَضِلَّ وَيُضِلَّ؛ فَقَدْ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ:(١) «مَنْ أُفْتِيَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَانَ إِثْمُهُ عَلَى مَنْ أَفْتَاهُ»، وَقَدْ رُوِيَ:(٢) «أَجْرَؤُكُمْ عَلَى الفُتْيَا؛ أَجْرَؤُكُمْ عَلَى النَّارِ». وَلَا يَصِحُّ حَدِيثًا.

وَلِذَا كَانَ الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ مِنْ أَئِمَّةِ الهُدَىٰ يتهيَّبون الفُتْيَا، وَيُحِيلُ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ، وَيُسَرُّ إِذَا وَجَدَ مَنْ يَكْفِيهِ مَؤُنَتَهَا، وَكَانَ أَحَدُهُمْ يَتَوَقَّفُ عَنِ الإِجَابَةِ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِنَ المَسَائِلِ، وَيَعْلُوهُ الكَرْبُ، وَتَأْخُذُهُ رَعْدَةٌ، وَيَتَحَدَّرُ العَرَقُ مِنْ

---

(١) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (ح ٣٦٥٧)، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي "مِشْكَاة المَصَابِيح" (ح ٢٤٢).

(٢) انْظُرْ: "السِّلْسِلَة الضَّعِيفَة" لِلْأَلْبَانِيِّ (ح ١٨١٤).

جَبْهَتِهِ إِذَا تَصَدَّىٰ لِإِجَابَةٍ، وَلَا يُجِيبُ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَلْحَقَهُ إِثْمُ مَنْ كَتَمَ عِلْمًا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ (آل عِمْرَان)، وَكَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:(١) «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وَقَالَ ﷺ:(٢) «مَثَلُ الَّذِي يَتَعَلَّمُ العِلْمَ ثُمَّ لَا يُحَدِّثُ بِهِ؛ كَمَثَلِ الَّذِي يَكْنِزُ الكَنْزَ ثُمَّ لَا يُنْفِقُ مِنْهُ».

❁❁❁❁

وَقَدْ حَدَّدَ النَّبِيُّ ﷺ مَنْ يَتَصَدَّىٰ لِذَلِكَ؛ فَقَالَ:(٣) «لَا يَقُصُّ إِلَّا أَمِيرٌ، أَوْ مَأْمُورٌ، أَوْ مُخْتَالٌ». وَفِي رِوَايَةٍ بَدَلًا مِنْ (مُخْتَال): «أَوْ مُرَاءٍ».

---

(١) "صَحِيح الجَامِع" (ح ٦٢٨٤).

(٢) "صَحِيح التَّرْغِيب" (ح ١٢٢).

(٣) "صَحِيح الجَامِع" (ح ٧٧٥٣، ٧٧٥٤).

إِنَّ الأَمْرَ جَدُّ خَطِيرٍ: إِنَّهُ الرِّيَاءُ.. الشِّرْكُ الأَصْغَرُ، وَقَدْ يَنْضَافُ إِلَيْهِ عَدَمُ العَمَلِ فَيَكُونُ الخَطَرُ أَشَدَّ؛ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:(١) «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي كُلُّ مُنَافِقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ».

وَيُصَوِّرُ النَّبِيُّ ﷺ صُورَةَ هَذَا البَائِسِ الَّذِي لَا يَعْمَلُ بِعِلْمِهِ؛ فَيَقُولُ ﷺ:(٢) «يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ -أَيْ تَخْرُجُ أَمْعَاؤُهُ بِسُرَعَةٍ- فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلاَنُ مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلاَ آتِيهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ».

وَقَالَ ﷺ:(٣) «لَـمَّا أُسْرِيَ بِي مَرَرْتُ بِرِجَالٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ، قَالَ: فَقُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟

---

(١) "صَحِيح التَّرْغِيب" (ح ١٥٥٦).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (ح ٣٢٦٧)، وَمُسْلِمٌ (ح ٢٩٨٩).

(٣) "صَحِيح التَّرْغِيب" (ح ٢٣٢٧).

قَالَ: هَؤُلَاءِ خُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ، وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ».

فَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ صَاحِبَهُ، كَمَا تَعَوَّذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَيْثُ قَالَ:(١) «اللهُمَّ! إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا».

❁❁❁❁❁

وَلَقَدْ حَذَّرَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ نَقُولَ عَلَيْهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ (البَقَرَة).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (الأَعْرَاف).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ (الإِسْرَاء)، أَيْ:

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (ح ٢٧٢٢).

(لَا تَقُلْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ).

وَقَدْ سُئِلَ الإِمَامُ أَحْمَدُ عَنِ الرَّجُلِ يُفْتِي بِغَيْرِ عِلْمٍ؛ فَقَالَ:(١) «يَمْرُقُ مِنْ دِينِهِ». فَقَدْ حَكَمَ عَلَيْهِمْ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ بِحُكْمِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الخَوَارِجِ:(٢) «يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ».

❁❁❁❁

وَقَدْ حَذَّرَ النَّبِيُّ ﷺ أَيْضًا مِنْ تَرَأُّسِ هَؤُلَاءِ الجُهَّالِ المُتَفَيْهِقِينَ، وَهَذَا الحَدِيثُ مِنْ مُعْجِزَاتِهِ وَعَلَمٌ مِنْ أَعْلَامِ نُبُوَّتِهِ؛ فَقَالَ ﷺ:(٣) «إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا».

❁❁❁❁

---

(١) "المَنْهَج الأَحْمَد" (١/ ٢٥١).

(٢) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: البُخَارِيُّ (ح ٣٦١٠)، وَمُسْلِمٌ (ح ١٠٦٤).

(٣) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: رَوَاهُ البُخَارِيُّ (ح ١٠٠)، وَمُسْلِمٌ (ح ٢٦٧٣).

وَلَا فَائِدَةَ حِينَئِذٍ مِنْ وُجُودِ الْكُتُبِ وَالْمَصَاحِفِ؛ فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ:(١) «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! خُذُوا مِنَ الْعِلْمِ قَبْلَ أَنْ يُقْبَضَ الْعِلْمُ، وَقَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ»... فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: يَا نَبِيَّ اللهِ! كَيْفَ يُرْفَعُ الْعِلْمُ مِنَّا وَبَيْنَ أَظْهُرِنَا الْمَصَاحِفُ وَقَدْ تَعَلَّمْنَا مَا فِيهَا، وَعَلَّمْنَا نِسَاءَنَا وَذَرَارِيَّنَا وَخَدَمَنَا؟ قَالَ: فَرَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ رَأْسَهُ وَقَدْ عَلَتْ وَجْهَهُ حُمْرَةٌ مِنَ الْغَضَبِ؛ فَقَالَ: «أَيْ ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ! وَهَذِهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى بَيْنَ أَظْهُرِهِمُ الْمَصَاحِفُ لَمْ يُصْبِحُوا يَتَعَلَّقُونَ بِحَرْفٍ مِمَّا جَاءَتْهُمْ بِهِ أَنْبِيَاؤُهُمْ، أَلَا وَإِنَّ مِنْ ذَهَابِ الْعِلْمِ أَنْ يَذْهَبَ حَمَلَتُهُ» ثَلَاثَ مِرَارٍ.

عَنْ زِيَادِ بْنِ لَبِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ:(٢) ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا؛ فَقَالَ: «ذَاكَ عِنْدَ أَوَانِ ذَهَابِ الْعِلْمِ». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! وَكَيْفَ يَذْهَبُ الْعِلْمُ، وَنَحْنُ نَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَنُقْرِئُهُ أَبْنَاءَنَا، وَيُقْرِئُهُ أَبْنَاؤُنَا

---

(١) رَوَاهُ أَحْمَدُ (ح ٢٢٢٩٠)، وَانْظُرْ "مَجْمَع الزَّوَائِد" (١/ ١٩٩، ٢٠٠)، وَ"فَتْح البَارِي" (١٣/ ٢٩٩، ٣٠٠).

(٢) رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ وَأَحْمَدُ بِسَنَدٍ فِيهِ انْقِطَاع، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي "مِشْكَاة المَصَابِيح" ح (٢٧٧).

أَبْنَاءَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ! زِيَادُ إِنْ كُنْتُ لَأَرَاكَ مِنْ أَفْقَهِ رَجُلٍ بِالمَدِينَةِ، أَوَلَيْسَ هَذِهِ الْيَهُودُ، وَالنَّصَارَى، يَقْرَءُونَ التَّوْرَاةَ، وَالْإِنْجِيلَ لَا يَعْمَلُونَ بِشَيْءٍ مِمَّا فِيهِمَا؟».

❁❁❁❁❁

وَبَعْدُ، فَهَذِهِ نَفْثَةُ مَصْدُورٍ سَاءَهُ التَّطَاوُلُ عَلَى عِلْمِ السَّلَفِ وَأَعْلَامِهِمْ، فَأَنَا (النَّذِيرُ العُرْيَان)؛ يَقُولُ: (صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ).

فَلَا بُدَّ مِنْ وَقْفَةٍ: (أَمْرٍ بِمَعْرُوفٍ، وَنَهْيٍ عَنْ مُنْكَرٍ)، وَلَا بُدَّ مِنْ بَصِيرَةٍ فِي مُوَاجَهَةِ هَذَا الطُّوفَانِ مِنَ العَبَثِ وَالجَهْلِ قَبْلَ أَنْ يَجْرِفَنَا مَعَهُ.

فَلْنَعُدْ إِلَى الأَصَالَةِ وَالقِيَمِ وَالقَوَاعِدِ وَالمَبَادِئِ، هَاجِرِينَ الدَّعْوَى وَتَسْوِيدَ الأَوْرَاقِ بِهَذَا الغُثَاءِ المَمْجُوجِ، وَلَا يَفْتُرُ أَحَدُنَا عَنْ مُحَاسَبَةِ نَفْسِهِ وَالإِزْرَاءِ عَلَيْهَا حَتَّى لَا تَتَطَاوَلُ فَوْقَ مَكَانَتِهَا، فَإِنَّهَا بِطَبْعِهَا مُحِبَّةٌ لِلثَّنَاءِ وَالظُّهُورِ.

❁❁❁❁❁

فَعَلَى الدُّعَاةِ إِلَى الله تَعَالَى المُخْلِصِينَ، وَالعُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ الَّذِينَ صَدَقُوا مَعَ الله فِي حَمْلِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ، وَأَدْرَكُوا عِظَمَ المَسْئُولِيَّةِ المُلْقَاةِ عَلَى عَوَاتِقِهِمْ؛ أَنْ يُشَمِّرُوا عَنْ سَاعِدِ الجِدِّ، وَيَنْفُضُوا هَذَا

الغُبَارَ مِنَ البَاطِلِ، وَيَقْشَعُوا هَذِهِ السَّحَابَةَ الَّتِي أَظْلَمَتْ أَمَامَ الأَعْيُنِ؛ فَحَالَتْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ رُؤْيَةِ الوَجْهِ المُشْرِقِ المُنِيرِ لِهَذَا الدِّينِ أَيَّامَ سَلَفِنَا الصَّالِحِ، وَأَنْ يَفْضَحُوا البَاطِلَ الَّذِي أُلْصِقَ بِهِ، وَأَنْ يُوَاجِهُوا كُلَّ مَا يُلْصَقُ بِهِ مِنْ زَيْفٍ وَبُهْتَانٍ بِبَيَانِ وَجْهِ الحَقِّ، وَتَبْصِيرِ النَّاسِ بِمَا يَرْمِي إِلَيْهِ المُتَعَالِمُونَ المُتَحَذْلِقُونَ الأَدْعِيَاءُ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ (الأَنْبِيَاء).

نَسْأَلُ اللهَ تَعَالَىٰ النَّجَاةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.